مجلة
ISSN : 2617 -5894
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - اليمن
المجلد (16) العدد (2)
ديسمبر 2021م

الوَلاَيَةُ في القرآن الكريم، أقسامها، أسبابها، وثمارها
د. عبد الرقيب عبده خالد عبد الله

سؤالات ابن الكواء لعلِي بن أبي طالب-رضي الله عنه- دراسة تفسيرية تحليلية
د. حنان بنت لويفي بن علي العمري

البنوك الإسلامية اليمنية وعلاقتها بالبنك المركزي
د. عاطف حسين حيدرة ناجي

رواية الأصمعي عن نافع فيما خالف قالون وورشًا من كتاب الكامل للهذلي جمعًا وتوجيهًا
د. سحر حسين المالكي

العين في ضوء السنة النبوية
د. أنور رمضان مبارك مسيعد، د. حسن كرامه أحمد سويلم

خصائص مقاصد الشريعة الخاصة وأثرها في تغير مدلول خطاب الشارع (خاصية المعيارية أنموذجاً)
د. رجاء محمد محفوظ مطلق

الربانية ونماذجها في ضوء القرآن الكريم
الباحث: أديب عبده الوصابي

حالات حمل المطلق على المقيد وأثرها على الاختيارات الفقهية (الإمام الشوكاني نموذجاً من خلال كتابية نيل الأوطار والسيل الجرار) (دراسة مقارنة تطبيقية)
د. نجم الدين علي علي رشيد

الجمهورية اليمنية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

المجلد (16) العدد (2)

ديسمبر 2021م

مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - اليمن

هيئة التحرير

المشرف العام للمجلة

أ.د. غالب عبد الكافي القرشي

رئيس التحرير

أ.م.د. يحيى مقبل الصباحي

مدير التحرير

أ.م.د. عبد الحق غانم القريضي

أعضاء هيئة التحرير

أ.م.د. محمد سرحان المحمودي

أ.م.د. أسماء غالب القرشي

أ.م.د. عبد الله أحمد بن عثمان

سكرتير التحرير

م. شوقي صالح بامفروش

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبد الحق عبد الدائم القاضي

أ.د. عبد الله عثمان المنصوري

أ.د. حسن عبد الجليل العبادلة

أ.د. صالح عبد الله الظبياني

أ.د. عبد الرحمن إبراهيم الخميسي

أ.د. أحمد صالح قطران

أ.د. علي يوسف عاتي

أ.د. محمد حاتم المخلافي

أ.د. حسن ثابت فرحان

أ.م.د. أحمد صالح بافضل

توجه جميع المراسلات إلى مدير التحرير على العنوان الآتي:

مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية – الجمهورية اليمنية

جوال: 771161908 00967+ algarizi2012@gmail.com

الموقع الإلكتروني: www.uqs-ye.info

البريد الإلكتروني: journals@uqs-ye.info

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ

ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا

كَبِيرًا ﴾

أولًا: ضوابط النشر

تقبل المجلة نشر البحوث باللغتين العربية والإنجليزية التي تتوافر فيها الشروط الآتية:

1. أن يكون البحث أصيلًا، وتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية، وذلك في مجالات (العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية والعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية).

2. أن يكون البحث مكتوبًا، بلغة سليمة، ومراعيًا لقواعد الضبط ودقة الرسوم والأشكال (إن وجدت) ومطبوعًا على الحاسوب، ببنط (16) وبخط (Traditional Arabic)، وألا تقل صفحات البحث عن خمس وعشرين صفحة، ولا تزيد عن (40) صفحة متضمنة الهوامش والمراجع، والملخص، وما زاد فيتبع فيه نظام المجلات من حيث الرسوم.

3. أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية الضرورية، ويراعى ألا تتجاوز أبعاد الأشكال والجداول حجم الصفحة.

4. يكتب الباحث ملخصًا للبحث (150-200) كلمة يوضع أول البحث بحيث يشتمل على عنوان البحث، وقضية/مشكلة البحث وهدف البحث، ومنهج البحث، وأهم النتائج التي توصل إليها البحث. وكلمات مفتاحية للبحث من (3-5) كلمات، تلي ملخص البحث مباشرة.

5. يترجم الباحث عنوان البحث وملخصه والكلمات المفتاحية باللغة الإنجليزية، إن كان البحث في اللغة العربية، أو يترجم ذلك باللغة العربية إن كان البحث باللغة الإنجليزية، (مع ملاحظة أن تكون الترجمة معتمدة، وليست من البرامج الإلكترونية، وتكون للنسخة النهائية المقبولة من الملخص).

6. يترجم الباحث اسمه والمعلومات التي يريد نشرها في صفحة عنوان البحث باللغة الإنجليزية.

7. ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي جهة أخرى، (يقر الباحث بذلك، أو يُعدّ اطلاعه على هذه الضوابط إقرارًا بذلك).

8. أن يتوفر في البحث دقة التوثيق، وحسن استخدام المصادر والمراجع.

9. تثبت المصادر والمراجع عند أول ذكر لها في البحث، على النحو الآتي: اسم المؤلف كاملًا مع اللقب، ثم اسم المصدر أو المرجع، ثم المجلد ورقم الصفحة. وعند إعادة الإشارة لمصادر ومراجع سابقة: يكتب (اسم الشهرة للمؤلف أو اسمه مع اللقب والجزء والصفحة، مرجع سابق). أو (اسم الكتاب والجزء والصفحة، مرجع سابق)، وإذا كان للمؤلف نفسه أكثر من مرجع في البحث فيكتب اسم المرجع المراد مع الجزء والصفحة ليتميز المرجع المقصود.

10. مراجع كتب الحديث النبوي تكتب بالطريقة نفسها، فيما عدا إضافة (الكتاب، والباب، ورقم الحديث) للمراجع المبوبة، بهذه الصورة مثلًا (البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب: حلاوة الإيمان (20/1) رقم: 16. وما كان منها غير مبوب فيثبت من غير الكتاب والباب.

11. تثبت للمرجع طبعة واحدة فقط، ولا يصح أن تثبت أكثر من طبعة للمرجع نفسه، إلا إذا كان هناك مقتضى ضروري لذلك، ويبين ما هو.

12. تثبت قائمة المراجع بمعلوماتها الكاملة في نهاية البحث، محتوية على جميع المراجع والمصادر التي استشهد بها في متن البحث، وترتب ترتيبًا أبجديًا، وتأتي المراجع العربية أولًا ثم (كتب أو رسائل أو دوريات)، ثم المراجع غير العربية بعدها (كتب أو رسائل أو دوريات). ويثبت المصدر أو المرجع بذكر اسم المؤلِّف كاملًا، ثم يوضع

تاريخ النشر ورقم الطبعة بين حاصرتين، كهذه ( )، ويلي ذلك ذكر عنوان المصدر أو المرجع، متبوعًا باسم المحقق أو المترجم (إن وجد)، ثم دار النشر ثم مكان النشر.

13. عند استخدام الدوريات (المجلات) بوصفها مراجع: يُذكر اسم صاحب البحث كاملًا، ثم تاريخ النشر بين حاصرتين، ثم عنوان البحث، ثم ذكر اسم المجلة ثم رقم المجلد (إن وجد)، ثم رقم العدد ثم أرقام الصفحات من – إلى، مثلًا: (50-85).

14. عند استخدام الرسائل العلمية كمراجع: تبدأ باسم صاحب الرسالة ثم عنوان الرسالة ثم الكلية والجامعة، والبلد، ثم تاريخ مناقشة الرسالة.

15. الآيات القرآنية الحجم 13، بالرسم العثماني. بين قوسين مزهرين كهذه﴿ ﴾. وتوثق الآيات في صلب البحث، بالسورة ورقم الآية.

16. الأحاديث النبوية الحجم 16، توضع بين قوسين كهذه « » مسودين مقاس 12. وتشكّل-فقط-الكلمات التي تحتاج لتشكيل.

17. النقول العلمية تكتب بين علامتي تنصيص " ". وبحسب أنظمة الاقتباس.

18. الحواشي السفلية تكتب بحجم 12 غير مسودة، بنوع خط المتن نفسه، وتوضع أرقامها بين قوسين كهذه ( ).

19. البحوث باللغة الإنجليزية يكون خط المتن حجم 14، والهوامش حجم 8.

20. ترقيم الحواشي كل صفحة مستقل، وبصورة آلية وليست يدوية.

ملاحظات مهمة:

- تحتفظ المجلة بحقها في إخراج البحث بما يتناسب وأسلوبها في النشر، (فنيًّا).
- ترحب المجلة بنشر ما يصلها من ملخصات الرسائل الجامعية التي تم مناقشتها وإجازتها في التخصصات المشار إليها، على أن يكون الملخص من إعداد صاحب الرسالة نفسه.

- الآراء الواردة في الأبحاث التي تنشرها المجلة تعبر عن أصحابها دون تحمل المجلة أية مسئولية عنها.

ثانيًا: إجراءات النشر:

- تُرسل البحوث والدراسات وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، الجمهورية اليمنية، باسم مدير التحرير أو سكرتير التحرير.
- تُرسل ثلاث نسخ من البحث مطبوعة على ورق (A4)، شريطة أن تكون المادة مطبوعة بمسافات مضاعفة ومحفوظة بقرص مدمج (CD)، متوافقًا مع برامج أجهزة الحاسوب ويندوز، وذلك إلى عنوان المجلة، بحيث يظهر في غلاف البحث اسم الباحث ولقبه العلمي، ومكان عمله، ومجاله، والإيميل.
- ترسل البحوث بصيغة word وpdf، إلى إيميل المجلة أو إيميل مدير التحرير أو واتس أو تليجرام.
- يرفق بالبحث موجز للسيرة الذاتية للباحث، متضمنًا عنوان الباحث بالتفصيل، وأرقام هواتف المنزل والعمل والفاكس (إن وجد) بما يسهل التواصل مع الباحث.
- في حالة قبول البحث مبدئيًا، يتم عرضه على محكمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يُعرض عليهم اسم الباحث أو بياناته، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث، وقيمته العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية العلمية المتعارف عليها، ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمها.
- يُخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال ستة أشهر –على الأكثر– من تاريخ استلام البحث.

- في حالة ورود ملاحظات من المحكِّمين، تُرسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن تعاد للمجلة خلال مدة أقصاها شهر.
- الأبحاث التي لم تتم الموافقة على نشرها لا تعاد إلى الباحثين، ويشعر الباحثون بذلك.
- يمنح أصحاب البحوث المنشورة نسخة واحدة من عدد المجلة المنشور فيه، وثلاث مستلات من بحوثه، أو ترسل لهم المستلات ونسخة من المجلة إلكترونيًا.
- تؤول جميع حقوق النشر للمجلة.

ثالثًا: رسوم النشر في المجلة:

تتقاضى المجلة مقابل نشر البحوث المحكمة والمقبولة الرسوم الآتية:

- البحوث المرسلة من داخل الجمهورية اليمنية (20,000) عشرون ألف ريال يمن، أو ما يعادلها.
- البحوث المرسلة من خارج الجمهورية اليمنية (50,000) خمسون ألف ريال يمني، أو ما يعادلها.
- البحوث المقدمة من باحثي كليات الجامعة تنشر مجانًا.
- تدفع الرسوم مع إيصال البحث، وهي غير قابلة للإرجاع بعد البدء بإجراءات التحكيم، سواء تم قبول البحث للنشر أو لم يتم.

جوال سكرتير التحرير: 770534665 00967+

رابط المجلة:http://uqs-ye.info/Journals

إيداع (364-2013)

المحتويات

م	البحث	الباحث	رقم الصفحة
1.	الوَلاَيَةُ في القرآن الكريم، أقسامها، أسبابها، وثمارها	د. عبد الرقيب عبده خالد عبد الله	11–68
2.	سؤالات ابن الكواء لعلِي بن أبي طالب–رضي الله عنه– دراسة تفسيرية تحليلية	د. حنان بنت لويفي بن علي العمري	69–113
3.	البنوك الإسلامية اليمنية وعلاقتها بالبنك المركزي	د. عاطف حسين حيدرة ناجي	114–169
4.	رواية الأصمعي عن نافع فيما خالف قالون وورشًا من كتاب الكامل للهذلي جمعًا وتوجيهًا	د. سحر حسين المالكي	170–212
5.	العين في ضوء السنة النبوية	د. أنور رمضان مسيعد، د. حسن كرامه سويلم	213–279
6.	خصائص مقاصد الشريعة الخاصة وأثرها في تغير مدلول خطاب الشارع (خاصية المعيارية أنموذجاً)	د. رجاء محمد محفوظ مطلق	280–332
7.	الربانية ونماذجها في ضوء القرآن الكريم	أديب عبده الوصابي	333–391
8.	حالات حمل المطلق على المقيد وأثرها على الاختيارات الفقهية (الإمام الشوكاني نموذجاً من خلال كتابية نيل الأوطار والسيل الجرار) (دراسة مقارنة تطبيقية)	د. نجم الدين علي علي رشيد	392–452

" سؤالات ابن الكَوَّاء لعلي بن أبي طالب "

دراسة تفسيرية تحليلية

د. حنان بنت لويفي بن علي العمري

أستاذ مساعد في جامعة جدة

كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

قسم علوم القرآن

Hlalamri@uj.edu.sa

ملخص البحث.

يتناول هذا البحث دراسة سؤالات ابن الكواء لعلي بن أبي طالب ﷺ، والغاية التي استهدفها جمع هذه السؤالات وترتيبها ودراستها دراسة تفسيرية، ومعرفة وجوه ردّ علي بن أبي طالب ﷺ عليها. واتبعت في البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وقد تكوّن البحث من خطة مرسومة مكونة من: ملخص، ومقدمة، وثلاثة أقسام، وخاتمة. وتوصلت من خلاله إلى عدة نتائج، منها: أنه من خلال تتبع المرويات التفسيرية نستطيع القول أن السؤالات التفسيرية نشأت منذ العهد الأول للإسلام؛ فقد كان الصحابة ﷺ يسألون النبي ﷺ عما يشتبه عليهم فهمه، ويشكل عليهم من معاني الآيات القرآنية، ثم جاء التابعون وتلقوا غالب تفسيرهم عن الصحابة ﷺ وكانوا يسألونهم عن أمور العلم والفقه. وقد دلت الآثار على كراهة السلف للسؤال عما لا حاجة إليه، والتحذير من تتبع المتشابهات، والنهي عن التكلف والتعمق والاعتراض والجدال في الدين. ووردت الآثار كذلك عن سؤالات الخوارج –التفسيرية– للصحابة، ومن أشهر ما ورد في ذلك: سؤالات صَبِيغ لعمر بن الخطاب ﷺ، وسؤالات نافع بن الأزرق– زعيم الخوارج الأزارقة– لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وسؤالات ابن الكواء علي بن أبي طالب ﷺ، وهي منقولة في كتب الآثار المسندة. وقد اختلف تعامل الصحابة مع سؤالات أهل البدع وذلك على حسب نوع السؤال، وحال السائل.

الكلمات المفتاحية: سؤالات، الخوارج، المتشابهات، ابن الكواء.

Research Summary.

This research deals with the study of Ibn al-Kawa's questions to Ali bin Abi Talib, and the purpose of collecting, arranging and studying these questions is an explanatory study, and knowing Ali bin Abi Talib's response to them. In the research, I followed the inductive-analytical method, and

I followed this research on a drawn plan consisting of: a summary, an introduction, three sections, a conclusion. Through it, I reached several conclusions, including: by following the explanatory narratives, we can say that the interpretative questions arose since the first era of Islam; The Companions used to ask the Prophet (peace be upon him) about what their understanding was suspected, and the meanings of the Quranic verses were formed for them, then the followers came and received most of their interpretation from the Companions, and they were asking them about matters of science and jurisprudence. The narrations indicate the dislike of the predecessors to ask about things that are not needed, and to warn against following allegories, and to forbid obsequiousness, depth, objection and debate in religion. The narrations were also reported on the questions of the Kharijites - the explanatory - of the Companions, and the most famous of what was mentioned in this: the questions of Sabigh to Omar bin Al-Khattab, and the questions of Nafi bin Al-Azraq - the leader of the Azariqa Kharijites - to Abdullah bin Abbas, may Allah be pleased with them, and the questions of Ibn Al-Kawa asked Ali bin Abi Talib, and it is transmitted in the books of assigned archeology. The Companions dealing with the questions by asked by people of innovation differed, according to the type of question, and the situation of the questioner.

Keywords: Questions, Kharijites, Al-Mushabihat, Ibn al-Kawa'.

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، وصـــلاته وســـلامه على إمام المتقين، وخاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد:

فإن من نعم الله علينا أن جعل العلم من أعظم الصـــالحات، وأزكى الطاعات، وأفضـل القربات، وإن مما كرّم الله به الإنسـان وفضـله على سـائر المخلوقات؛ القدرة على التعلم، ولذلك امتن الله على عباده بهذه النعمة، فقال لنبيه: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[سورة العلق]. وقال في الحث على التعلم واكتساب المعرفة: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤﴾[سورة طه] وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على أهمية تزود الإنسان بالعلم.

ولما كان سؤال أهل العلم من أهم وسائل بناء الجانب التعليمي لدى المتعلم؛ أرشد اللَّه سـبحانه عباده إلى سـلوك المنهج السـديد لمفاتيح العلم، والتي من أهمها حُسـن السـؤال، وحُسـن الإنصـات والتعلم، فأمر بسـؤال أهل الذكر، فقال ﷻ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾[الأنبياء:7]، ونبه ابن تيمية على أن: «حُســنُ المسألة نصفُ العلم، إذا كان السائلُ قد تصور المسؤول»[1] وكما قال ابن القيم: « للعلم ست مراتب، أولها حسن السؤال..».[2]

وقد كان أئمة أهل العلم يسـأل بعضـهم بعضًـا فيما يشـكل عليهم؛ ومثالٌ على ذلك قول الشـــافعي لأحمد: «يا أبا عبد اللَّه، أنت أعلم بالحديث مني؛ فإذا صـــح الحديث فأعلمني حتى أذهب إليه شاميًا كان أو كوفيًا أو بصريًا» [3].

(1) جامع المسائل، لابن تيمية (1/ 96).

(2) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (1/ 169).

(3) إعلام الموقعين، لابن القيم (3/ 529).

ولما كان من منهج الصحابة ﷺ سماع سؤالات أهل البدع ومناظرتهم والرد عليهم، وبيان ما أخطأوا فيه؛ رأيت في هذا البحث المتواضع أن أتناول سؤالات ابن الكواء لعلي بن أبي طالب ﷺ بالبحث والدراسة، والغاية التي استهدفتها في هذا البحث جمع هذه السؤالات وترتيبها ودراستها دراسة تفسيرية، ومعرفة وجوه ردّ علي بن أبي طالب ﷺ عليها.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة على الأسئلة الآتية:

1- ما المقصود بالأسئلة التفسيرية؟

2- متى نشأت السؤالات التفسيرية؟

3- كيف تعامل السلف مع سؤالات أهل البدع؟

4- ما منطلقات سؤالات ابن الكواء التفسيرية؟

5- كم عدد سؤالات ابن الكواء لعلي بن أبي طالب ﷺ؟

6- ما وجوه ردّ علي بن أبي طالب ﷺ على سؤالات ابن الكواء؟

حدود البحث: اكتفيتُ بالروايات التي وردت فيها سؤالات ابن الكواء، ودراستها دراسة تفسيرية، والخروج بنتائج هذه السؤالات -بقدر استطاعتي-.

الدراسات السابقة: لم اطلع على بحث يتناول موضوع سؤالات ابن الكواء التفسيرية، وقد وردت بعض الدراسات تتناول موضوع السؤلات التفسيرية عمومًا، منها:

1- "سؤالات الصحابة رضي الله عنهم للرسول ﷺ واستشكالاتهم في التفسير. جمعًا ودراسة" للباحثة: نورة بنت خالد بن إبراهيم العرفج، نوقشت عام 1438هـ بقسم الدراسات الإسلامية، بكلية الآداب، بجامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل بالدمام، في المملكة العربية السعودية.

2- "السؤالات التفسيرية في الدر المنثور - جمعًا ودراسة" للباحث: محمد بن زايد

المطيري، نوقشت عام 1438هـ بقسم الكتاب والسنة، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

3-"سؤالات التفسير القرآني، إشكالية المنهج والأهداف والنسق: قراءات تنموية في النقد التفسيري" للباحث: محمد جعفر العارضي. 1439هـ، 2018 م.

4-"سؤالات التفسير الموجهة للصحابة من تفسير جامع البيان للإمام الطبري: جمعًا ودراسة" إعداد: فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن؛ بحث ماجستير- جامعة الملك سعود، 1435هـ.

منهج البحث: اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بجمع سؤالات ابن الكواء، وتصنيفها، ودراستها دراسة تفسيرية.

خطة البحث: سرت في بحثي هذا على خطة مرسومة مكونة من: ملخص، ومقدمة، وثلاثة أقسام، وخاتمة، وهي على النحو الآتي:

- ملخص البحث.
- المقدمة، وفيها أهمية البحث، ومشكلته، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.
- المبحث الأول: المقصود بالسؤالات التفسيرية ونشأتها، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: المقصود بالسؤالات التفسيرية.
  - المطلب الثاني: نشأة السؤالات التفسيرية.
- المبحث الثاني: تعامل الصحابة مع سؤالات أهل البدع.
- المبحث الثالث: دراسة سؤالات عبد الله بن الكَوَّاء التفسيرية.
- خاتمة البحث.

المبحث الأول: المقصود بالسؤالات التفسيرية ونشأتها

المطلب الأول: المقصود بالسؤالات التفسيرية.

السؤالاتُ لغةً جمع سؤال، وأصله: سأل. والسين والهمزة واللام كلمة واحدة، يقال سأل يسأل سؤالًا ومسألة. ورجلٌ سُؤلة: كثير السؤال.[1] وفي القاموس:« سألهُ كذا، وعن كذا، وبكذا، بمعنىً، سُؤالًا وسآلةً ومَسألةً وتَسآلًا وسَألةً. والأمر: سَل، واسْأل، ويقالُ: سالَ يَسالُ، كخافَ يخافُ، وهُما يتساولانِ. والسُّؤلُ – والسُّؤلةُ، ويُتركُ همزهُما–: ما سألتهُ. وكهمزةٍ: الكثيرُ السُّؤالِ. وأسألهُ سُؤلهُ ومسأَلتهُ: قضى حاجتهُ» [2].

والفرق بين السؤال والاستخبار: أن الاستخبار طلب الخبر فقط، والسؤال يكون في طلب الخبر، والأمر والنهي، كأن يسأل السائل غيره بأن يأمره بالشيء أو ينهاه عنه.

والفرق بين السؤال والاستفهام: أن الاستفهام لا يكون إلا لما يجهله المستفهم أو يشك فيه وذلك أن المستفهم طالب لأن يفهم ويجوز أن يكون السائل يسأل عما يعلم لا يعلم والفرق بينهما ظاهر. [3]

والسؤال اصطلاحًا: هو استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة، أو ما يؤدي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللسان خليفة لها، إما بوعدٍ أو بردٍ. والسؤال يقارب الأمنية، لكن الأمنية تقال فيما قدر، والسؤال فيما طلب فيكون بعد الأمنية. [4]

(1) مقاييس اللغة (3/ 124).
(2) القاموس المحيط (ص: 1012).
(3) الفروق اللغوية للعسكري (ص: 37).
(4) الكليات (ص: 501).

والمراد بالسؤالات -بالاصطلاح العام-: أن يسأل السائل-الطالب- عالـمًا على وجه التبيين والتعلم.

والمراد بالسؤالات التفسيرية: الأسئلة التي يطرحها المتعلم على العالم بقصد الوصول لفهم معنى كلام الله تعالى.

«والسؤال في كتاب الله والحديث نوعان: أحدهما ما كان على وجه التبيين والتعلم مما تمس الحاجة إليه، فهو مباح، أو مندوب، أو مأمور به، والآخر ما كان على طريق التكلف والتعنت، فهو مكروه، ومنهي عنه. فكل ما كان من هذا الوجه ووقع السكوت عن جوابه فإنما هو مِن قبيل ردع وزجر للسائل، وإن وقع الجواب عنه فهو عقوبة وتغليظ. ومنه الحديث:((أنه نهى عن كثرة السؤال)) [1] قيل هو من هذا. وقيل هو سؤال الناس أموالهم من غير حاجة».[2]

قال مالك: «ولا أحب هذا الإكثار من المسائل والأحاديث، وأدركت أهل هذا البلد يكرهون الذي في الناس اليوم، ولم يكن أول هذه الأمة بأكثر الناس مسائل ولا هذا التعمق. وقد نهى النبي ﷺ عن كثرة المسائل».[3]

المطلب الثاني: نشأة السؤالات التفسيرية.

من خلال تتبع المرويات التفسيرية التي زخرت بها كتب التفسير نستطيع القول أن السؤالات التفسيرية نشأت منذ العهد الأول للإسلام، فقد كان الصحابة ﷺ يسألون النبي ﷺ عما يشتبه عليهم فهمه ويشكل عليهم من معاني الآيات القرآنية، ثم جاء التابعون وتلقوا غالب تفسيرهم عن الصحابة ﷺ وكانوا يسألونهم عن أمور العلم والفقه، يقول ابن أبي مليكة:« رأيت مجاهدًا يسأل ابن عباس ﷺ عن

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (9/ 95)،(ح/ 7292).

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 328).

(3) موطأ مالك ت الأعظمي (1/ 259).

تفسير القرآن ومعه ألواحه، فيقول له ابن عباس رضي الله عنه: اكتب، قال: حتى سأله عن التفسير كله»[1]. ومما ورد من أسئلة الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ:

1 - سؤال عدي بن حاتم للنبي ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7] فقال له ﷺ: «هم اليهود»[2].

2- سؤال أبي الدرداء رضي الله عنه للنبي ﷺ عن قوله ﷻ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: 64] قال: «ما سألني عنها أحد غيرك؛ هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو ترى له»[3].

3- ومنه قول عمر رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [هود: 105] سألت النبي ﷺ، فقلت: يا نبي الله، فعلام عملُنا؟ على شيء قد فرغ منه، أم على شيء لم يفرغ منه؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «على شيء قد فرغ منه يا عمر وجرت به الأقلام، ولكن كل ميسر لما خلق له» [4].

4- ما ورد عن أبي صالح -مولى أم هانئ- أن أم هانئ رضي الله عنها سُئلت عن هذه الآية: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت:29] فقالت: سألت عنها رسول الله ﷺ ، فقال: «كانوا يخذفون أهل الطريق، ويسخرون منهم»[5].

5- سؤال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه للنبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون: 5] فقال: «هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها» [6]. فهذه

(1) جامع البيان، لابن جرير الطبري (1/ 85).
(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (1/ 186).
(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (12/ 220).
(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (12/ 578).
(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (18/ 390).
(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (24/ 663).

أمثلة من بعض أسئلة الصحابة ﷺ للنبي ﷺ، ثم جاء التابعون من بعدهم وكانوا يسألون الصحابة ﷺ عما يشكل عليهم، ومن ذلك:

1-سؤال التيمي لابن عباس ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء] قال: «ما فتلت بين أصبعيك» (1).

2- سؤال مسروق لابن مسعود ﷺ عن قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:180] قال: «يطوقون شجاعًا أقرع، ينهش رأسه» (2).

3- ما ورد عن أبي العبيدين، أنه سأل ابن مسعود ﷺ، عن قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون]، فقال: «ما يتعاطاه الناس بينهم» (3).

القسم الثاني: تعامل الصحابة مع سؤالات أهل البدع.

من المعلوم أن أول فرقة مرقت من الدين وشقت صفوف المسلمين هي فرقة الخوارج، وقد ظهروا في عهد الصحابة ﷺ، وأول ما كان ضلالهم حينئذ في مسألة الإيمان؛ إذ كفروا المسلمين، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وخرجوا على أئمتهم وحاربوهم.

وقد وردت الآثار في الكتب المسندة عن سؤالاتهم التفسيرية للصحابة، ومن أشهر ما ورد في ذلك: سؤالات صَبِيغ لعمر بن الخطاب ﷺ، وسؤالات نافع بن الأزرق- زعيم الخوارج الأزارقة- لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وسؤالات ابن الكواء سأل علي بن أبي طالب ﷺ، وهي منقولة في كتب التفسير المسندة، وفي غيرها.

ولو سأل سائل: كيف تعامل الصحابة مع سؤالات أهل البدع؟

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (7/ 130).

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (6/ 274).

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (24/ 673).

فالجواب: أن تعاملهم يختلف على حسب نوع السؤال، وحال السائل، وتفصيل هذا فيما يأتي:

الحالة الأولى: إذا كان المبتدِع ممن أُشرِب قلبُه حب البدعة، ويدعو لها، ويذّبُ عنها، ويوالي ويعادي لأجلها، فهذا -إن عُدم انتفاعه بالنُّصح- ممن تبرَّأ منه السلف، وحذروا الناس منه. كما ورد عن يحي بن يعمر، قال: قلت لابن عمر -رضي الله عنهما-: «إن ناسًا عندنا يقولون: الخير والشر بقدر، وناسًا يقولون: الخير بقدر والشر ليس بقدر، فقال ابن عمر: إذا رجعت إليهم فقل لهم: إن ابن عمر يقول: إنه منكم بريء، وأنتم منه براء»[1]. وعن ابن سيرين قال:« جاء رجل إلى عمر ﷺ فسأله عن آية، فكره ذلك وضربه بالدِّرّة، فسأله آخر عن هذه الآية: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا﴾[النساء:128]، فقال: عن مثل هذا فَسلوا! ثم قال: هذه المرأة تكون عند الرجل قد خلا من سنها، فيتزوج المرأة الشابَّة يلتمس ولدَها، فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائزٌ». [2] وعن الوليد بن مسلم، قال: «جاء طلق بن حبيب، إلى جندب بن عبد الله ﷺ فسأله عن آية من القرآن فقال له: أحرج عليك إن كنت مسلمًا لما قمت عني، أو قال: أن تجالسني» [3]، والآثار التي تدل على مجانبة السلف الصالح لأهل البدع، وتحذيرهم عن مجالستهم، والإصغاء إليهم، وتشديدهم في ذلك كثير.

الحالة الثانية: إن كان السائل ممن اعتقد بدعةً بسبب شبهةٍ عارضة غير مستحكمة، فأدَّت به هذه الشبهة إلى طريق الابتداع؛ لكنه ممن يرجى له النجاة، والرجوع عن البدع، والتزام السنة؛ ففي هذه الحالة فإنَّ الصحابة كانوا يُناظِرون من

(1) السنة، لعبد الله بن أحمد (2/ 422).

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (7/ 550).

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (1/ 80).

كان هذا حاله، ويُبيِّنون له خطأه؛ ليلزم السنَّة ويعُود عن بدعته، ومن أمثلة ذلك:

1- فعل جابر بن عبد الله- رضِـــي الله عنهما- مع بعض مَن رأوا رأيَ الخوارج بسبب خطأٍ في فهمهم لبعض النصوص الشرعية؛ وهذا الأثر أخرجه مسلم عن يزيد الفقير، قال:« كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عددٍ نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبد الله- رضِي الله عنهما- يحدث القوم، جالس إلى سارية- عن رسول الله ﷺ قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين، قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله، ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾ [آل عمران:192]، وقال: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج:22]، فما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال: «أتقرأ القرآن؟» قلت: نعم، قال: «فهل سمعت بمقام محمد ﷺ - يعني الذي يبعثه الله فيه -؟» قلت: نعم، قال: «فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج»، قال: ثم نعت وضع الصراط، ومرّ الناس عليه، - قال: وأخاف ألا أكون أحفظ ذاك- قال: غير أنه قد زعم أن قومًا يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، فيخرجون كأنهم عيدان السماسم، قال: فيدخلون نهرًا من أنهار الجنة، فيغتسلون فيه، فيخرجون كأنهم القراطيس. فرجعنا، قلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ ؟ فرجعنا، فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد»[1].

2- قصة صَبِيغُ بن عَسلٍ التميمي مع عمر بن الخطاب ﷺ، قال سعيد بن المسيب: «جاء صُبيغ التميمي إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾ [الذاريات]، قال: هي الرياح، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن: ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾ قال: هي السحاب، ولولا

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (1/ 179)، (ح/320).

أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾، قال: «هي الملائكة، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته» قال: فأخبرني عن ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣﴾، قال: هي السفن، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته" قال: ثم أمر به عمر رضي الله عنه فضُرب مائة وجعله في بيت، فلما برئ دعا به فضربه مائة أخرى وحمله على قتب وكتب إلى أبي موسى الأشعري: امنع الناس من مجالسته، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى رضي الله عنه فحلف له بالأيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئًا، فكتب في ذلك إلى عمر رضي الله عنه، فكتب عمر رضي الله عنه: ما أخاله إلا قد صدق، فخل بينه وبين مجالسته الناس»[1]. ولذلك لما خرجت الحرورية، قيل لصَبيغ: إنه قد خرج قوم يقولون كذا وكذا، فقال لهم: هيهات قد نفعني الله بموعظة الرجل الصالح، قال: « وكان عمر رضي الله عنه ضربه حتى سالت الدماء على رجليه»، أو قال: على عقبيه[2].

3- مناظرة عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- مع الحرورية، والتي بعدها رجع منهم عشرون ألفًا، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا [3].

4- أجوبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أسئلة ابن الكواء، والتي هي محل هذا البحث.

المبحث الثالث: دراسة سؤالات عبد الله بن الكَوَّاء التفسيرية.

تمهيد: ترجمة عبد الله بن الكَوَّاء.

قبل الشروع في دراسة هذه السؤالات نستعرض لمحة سريعة عن ترجمة عبد الله ابن

(1) أخرجه البزار في مسنده (1/ 423)، (ح/299).

(2) أخرجه معمر بن راشد في الجامع (11/ 426).

(3) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (10/ 157).

الكَوَّاء. هو عبد الله بن أبي أوفَى، ويقال: عبد الله بن عمرو بن النُّعمان بن ظالم اليَشكرِيّ، قال هشام: كنيته أبو عمرو، وقال أحمد بن حنبل: كنيته أبو الكَوَّاء.

قدم دمشق مع الذين نفاهم عثمان بن عفانﷺ من الكوفة- منهم: الأشتر وصعصعة بن صُوحان -، فسألهُ معاوية بن معاوية ﷺ عن النَّاس، فقال ابن الكَوَّاءِ: «أمّا أهل البصرة فقد غلب عليها سُفهاؤُها، وعامِلُها ضعِيفٌ. وأنزلهم معاوية دارًا وأضافهم، فبينما هم يقرؤون القرآن يومًا مرَّ بهم معاوية زائرًا لهم، فسمعهم يقرؤون القرآن، فقال: هذا خير لكم من الفتنة، ثم نَشَدهم الله وقال: «أيُّ رجلٍ أنا؟» فقال له ابن الكَوَّاء: «أنت رجلٌ واسع الدنيا، ضيِّق الآخرة، قريب المرعى، بعيد المرمى، تجعل الظّلمات نورًا، والنور ظلمات»، فسكت معاوية. (1)

ثم عاد ابن الكَوَّاء إلى العراق، وخرج مع الخوارج على علي ﷺ، وكان من أكابر زعماء الخوارج، الذين اختاروه ليحاجّ علي بن أبي طالب ﷺ في أمر الحكمين، وقد جرت بينهما مجادلات حتى قال ابن الكواء في آخر كلامه: أنت صادقٌ في جميع ما تقول، غير إنك كفرت حين حكمت الحكمين، فقاتلهم عليٌّ ﷺ ، وكان عليهم عبد الله بن وهب الراسبي. وكان ابن الكواء كذلك من الذين جادلهم ابن عباس-رضي الله عنهما-، ثم رجع منهم أربعة آلاف تائبين، منهم ابن الكواء، ولم يقاتل عليًّا ﷺ فسلم، ولم أقف على تاريخ وفاته. (2)

دراسة سؤالات ابن الكواء التفسيرية.

من خلال رجوعي إلى مصنفات التفسير التي اعتنت بالآثار، وتتبعي للمرويات الواردة عن علي بن أبي طالبﷺ، ظفرت بسؤالات ابن الكواء له، وسأتناولها في هذا

(1) تاريخ الطبري (5/ 212).

(2) تاريخ الطبري (5/ 212)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، لابن سبط ابن الجوزي (6/ 322-323)، تاريخ الإسلام، للذهبي (3/ 591)، الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (5/ 73).

القسم بالتحليل والدراسة، والحكم على نوعيتها ما استطعت إلى ذلك سبيلًا:

المسألة الأولى: المقصود بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم:28].

جاءت الرِّوايات عن أكثر السلف توضح سبب سؤال ابن الكواء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه عن تفسير هذه الآية، فقد أورد ابن أبي حاتم بإسناده عن ابن أبي حسين قال: قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال:« ألا أحد يسألني عن القرآن فو الله لو أعلم اليوم أحدًا أعلم مني به، وإن كان من وراء البحار، لأتيته. فقام عبد الله بن الكواء فقال: من ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾؟ فقال: مشركو قريش، أتتهم ﴿نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾الإيمان، فـ﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾»، وقد روي في تفسير هذه الآية عن علي رضي الله عنه من طرق نحو هذا، فرواه ابن جرير عن عمرو بن مرة قال: سمعت عليًا رضي الله عنه قرأ هذه الآية: ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ قال: «هم الأفجران من قريش: بنو أمية وبنو المغيرة، فأما بنو المغيرة فأهلكوا يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين»، ورواه أبو إسحاق، عن عمرو بن مرة، عن علي، نحوه، وروي من غير وجه عنه قال: قال ابن عباس لعمر –رضي الله عنهما–: « يا أمير المؤمنين، هذه الآية: ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾» وذكر نحوه[1]. والبوار: الهلاك والخسران. والإحلال بها الإنزال فيها، والمراد بالإحلال التسبب فيه، أي كانوا سببًا لحلول قومهم بدار البوار، وهي جهنم في الآخرة، ومواقع القتل والخزي في الدنيا، مثل: موقع بدر، فيجوز أن يكون دار البوار جهنم، وبه فسَّر علي وابن عباس–رضي الله عنهما– وكثير من العلماء، ويجوز أن تكون أرض بدر، وهي

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (7/ 2246)، والطبري في جامع البيان (13/ 671-673)، وينظر: تفسير ابن كثير (4/ 509).

الرواية عن علي وعن ابن عباس–رضي الله عنهما– [1]. ولا شك أن الآية تشمل كل من بدّل النعمة كفرًا، وهذا هو الأولى والأوفق، فتكون عامة تعم في مفهومها جميع الكفار الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا، وعلى هذا يكون ما ورد عن السلف من قبيل التمثيل لبعض أفراد العموم لأهميته، فمثلوا بكفار قريش من بني أمية وبني المغيرة بن مخزوم؛ لأنهم أهلكوا قومهم بالقتل في يوم بدر، ثم سيكون مصيرهم في الآخرة إلى جهنم. وليس مقصد عمر ولا علي– رضي الله عنهما– من أسلم من بني أمية، فإن ذلك لا يمكن أن يصدر عنهما.

تنبيهان:

التنبيه الأول: يلاحظ أن علي بن أبي طالب ﷺ فسّر الآيات وهو على المنبر، وأذن للناس أن يسألوه، فقال:« ألا أحدٌ يسألني عن القرآن، فوالله لو أعلم اليوم أحدًا أعلم مني به –وإن كان من وراء البحار– لأتيته». وفي رواية أخرى لابن جرير أنه قام ﷺ على المنبر فقال: «سلوني قبل أن لا تسألوني، ولن تسألوا بعدي مثلي، فقام ابن الكواء فسأله»[2]، وفي رواية عبد الرزاق عن أبي الطفيل، قال: شهدت عليًا ﷺ وهو يخطب ويقول:« سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم بليلٍ نزلت أم بنهارٍ، أم بسهلٍ نزلت أم بجبلٍ، فقام إليه ابن الكواء– وأنا بينه وبين علي ﷺ، وهو خلفي– فسأله، فقال له علي ﷺ: ويلك سلّ تفقهًا، ولا تسأل تعنتًا» [3]. وهذه الروايات– وغيرها– فيها إشارة على حرص السلف على تعلُّم العلم وتعليمه للناس حتى وهم على المنبر.

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (13/ 669)، وينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (13/ 229).
(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (13/ 672).
(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (3/ 234).

التنبيه الثاني: في قول علي بن أبي طالب ﷺ:« ويلك سلّ تفقهًا، ولا تسأل تعنتًا»، [1] وفي رواية: «ألا سألت عن شيء ينفعك في أمر دنياك أو أمر آخرتك؟» [2] دلالة على كراهة السلف للسؤال عما لا حاجة إليه، والتحذير من تتبع المتشابهات، والنهي عن التكلف والتعمق والاعتراض والجدال في الدين، قال الإمام الآجُرِّيُّ: «وقد كان العلماء قديمًا وحديثًا يكرهون عضل المسائل ويردونها، ويأمرون بالسؤال عما يعني، خوفًا من المراء والجدال الذي نهوا عنه، وقد نهى النبي ﷺ عن قيل وقال، وكثرة السؤال والنهي عن الأغلوطات»[3].

المسألة الثانية: معنى: «سبحان الله».

أورد الطبري بسنده عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه: أن ابن الكواء سأل عليًا ﷺ عن «سبحان الله» قال: «كلمة رضيها الله لنفسه» [4] وزاد في لفظ الطبراني: قال ابن الكواء لعلي ﷺ: الله أكبر قد عرفناه، والحمد لله قد عرفناه، ولا إله إلا الله قد عرفناه، سبحان الله ما هو؟ قال: «كلمة لا أبا لك! رضيها الله ﷻ لنفسه، فارض بها» [5] وجاءت رواية أخرى عند ابن أبي حاتم أن مَن سأل علي ﷺ هو عمر بن الخطاب ﷺ، فقد أخرج بإسناده عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قال عمر لعلي- رضي الله عنهما- وأصحابه عنده: لا إله إلا الله، والحمد لله، والله أكبر، قد عرفناها، فما سبحان الله؟ فقال علي ﷺ: كلمة أحبها

(1) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (3/ 234).
(2) أخرجها الإمام الآجري في الشريعة (1/ 486).
(3) الشريعة للآجري (1/ 486).
(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (12/ 127).
(5) أخرجه الطبراني في كتاب الدعاء (ص: 499)، (ح/1760).

لنفسه، ورضيها لنفسه، وأحَبَّ أن تُقال. (1)

ومرد الاختلاف في الروايتين -كما هو ظاهر- أن رواية ابن جرير الطبري ورد فيها أن السائل لعليﷺ: هو ابن الكواء، ورواية ابن أبي حاتم جاء فيها أن السائل عمر ابن الخطاب ﷺ والظاهر- والله أعلم- أن السؤال وقع من ابن الكواء؛ لأنه يبعد أن يسأل عمر بن الخطاب ﷺ هذا السؤال، وعلى مثل هذه الصياغة؛ فهو الذي جلد(صَبيغ) لما جعل يسأل عن متشابه القرآن، كما أن الوارد عن عمر ابن الخطاب ﷺ كره التكلف، ففي الأثر الوارد عن أنس بن مالكﷺ ، قال: قرأ عمرﷺ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ [سورة عبس]، حتى أتى على هذه الآية: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [سورة عبس]، فقال:« قد علمنا ما الفاكهة، فما الأب؟ ثم قال: إن هذا لهو التكلف»(2). وأما المقصد من التسبيح فهو تنزيه الله عن النقص والعيب، وتعظيمه، وذلك يتضمن كمال صفاته، كما قال ابن تيمية: «والأمر بتسبيحه يقتضي تنزيهه عن كل عيب وسوء وإثبات صفات الكمال له. فإن التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها. فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده» (3).

والتسبيح في اللغة الإبعاد عن السوء، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧﴾ [سورة المزمل]أي تباعدًا، فمعنى: سبح الله تعالى: أي: بعده ونزهه عما لا ينبغي، وسُبحَان: مصدر سبَحَ، وهو اسم علم للتسبيح يقال: سبحت الله تسبيحًا وسبحانًا، فالتسبيح هو المصدر، وسبحان اسم علم للتسبيح كقولك: كفرت اليمين

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (1/ 27) والرواية فيها حجاج بن أرطاة وهو ضعيف كثير الخطأ والتدليس. ينظر: تقريب التهذيب، لابن حجر (ص: 152).

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (24/ 120).

(3) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (16/ 125).

تكفيرًا وكفرانًا، وتفسيره تنزيه الله تعالى من كل سوء. وهو في اصطلاح الشرع: تنزيه الله ﷻ عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله.[1] أما حاصل جواب علي ﷺ لابن الكواء فهو أن الأذكار –من التسبيح والتحميد والتكبير– ألفاظ ارتضاها الله ﷻ وأثنى بها على نفسه في كتابه، ولهج بها صفوة خلقه من رُسله وملائكته، فهي مثل أسمائه الحسنى التي ارتضاها، وسمى بها نفسه، أو سماه بها رسوله ﷺ. فجوابه ﷺ ليس تفسيرًا مباشرًا لمعنى اللفظ؛ وإنما تفسيرٌ باللازم، وهذا ربما وقع في تفسير السلف، فإنهم قد يذكرون المعنى المراد اللازم من المعنى الأولي في الآية، والغرض منه هنا: الزجر للسائل عن التّكلُّف، والتعنُّت في السؤال.

المسألة الثالثة: عن السَّوادُ الذي في القمرِ.

هذه المسألة أخرجها الطبري بسنده عن عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما–، قال: كنت عند علي ﷺ، فسأله ابن الكواء عن السواد الذي في القمر، فقال: «ذاك آية الليل محيت»، وعن أبي الطفيل، قال: قال ابن الكواء لعلي ﷺ: يا أمير المؤمنين، ما هذه اللطخة التي في القمر؟ فقال: ويحك أما تقرأ القرآن: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [سورة الإسراء] فهذه محوه، وجاء في رواية رفيع بن أبي كثير، قال: قال علي بن أبي طالب ﷺ: « سلوا عما شئتم، فقام ابن الكواء، فقال: ما السواد الذي في القمر، فقال: قاتلك الله، هلا سألت عن أمر دينك وآخرتك؟ قال: ذلك محو الليل »، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص–رضي الله عنهما–، أن رجلًا، قال لعلي ﷺ: « ما السواد الذي في القمر؟ قال: إن الله يقول: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [سورة الإسراء]»[2].

(1) مفاتيح الغيب، للرازي (20/ 291)، أضواء البيان (8/ 3).

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (14/ 515- 516).

والمحو في اللغة معناه: إذهاب الأثر، يقال: محت الريح السحاب، أي: ذهبت به. والمحو من قولهم: محوت الشَّيء أمحوه محوا إذا طمسته، وكل شيء طمسته فقد محوته' ويقال للسواد الذي في القمر: المحو والشامة. (1). ولعل هذا هو معنى قول علي بن أبي طالب ﷺ:« أنها اللطخة السوداء التي في القمر»، أو بأنه: «السواد الذي في وسط القمر»، ليكون ضوء القمر أقل من ضوء الشمس، فيميز به الليل من النهار. فعلي بن أبي طالب ﷺ يرى أن الجهة المظلمة من القمر هي المقصود بالمحو، وقوله ﷺ موافق لغالب تفسير السلف، كابن عباس وقتادة ومقاتل. قال ابن عباس ﷺ:« كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آية الليل، والشمس آية النهار، ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ السواد الذي في القمر» (2). أما عن أسلوبه في التعامل مع ابن الكواء فيلاحظ ذلك في قوله: «ويحك أما تقرأ القرآن ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ فهذه محوه»، وفي رواية أنه نهره قائلًا:« قاتلك الله، هلا سألت عن أمر دينك وآخرتك؟» فامتاز أسلوبه بالتغليظ والزجر له؛ لأنه تبين له أن مقصده لا محصّل له إلّا حب المماحكة والجدل والعبث، وليس طلب الاسترشاد والوصول إلى الهدى.

المسألة الرابعة: المراد بقوله تعالى:﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الكهف].

أخرج الطبري في تفسيره عن أبي الصهباء البكري، ونافع بن جبير بن مطعم، عن علي بن أبي طالب ﷺ، أن ابن الكواء سأله، عن قول الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة الكهف] فقال علي ﷺ :« أنت وأصحابك»، وفي رواية أبي

(1) العين، للخليل (3/ 314)، مقاييس اللغة، لابن فارس (5/ 302) الألفاظ، لابن السكيت (ص: 291).
(2) تفسير مقاتل بن سليمان (2/ 524)، جامع البيان (14/ 517).

الطفيل قال: «ويلك، أهل حروراء منهم»[1]. والمقصود بالأخسرين أعمالًا: يعني بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبغون به ربحًا وفضلًا، فنالوا به عطبًا وهلاكًا ولم يدركوا طلبًا، كالمشتري سلعة يرجو بها فضلًا وربحًا، فخاب رجاؤه وخسر بيعه، ووكس في الذي رجا فضله [2]. والروايات الواردة عن السلف في الذين عنوا بذلك، جاءت على معنيين:

المعنى الأول: أنهم «الرهبان والقسوس». وورد هذا القول عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث قال: «هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع» وورد عنه في رواية أخرى أنه سُئل عن قوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾﴾ قال: «هم كفرة أهل الكتاب، كان أوائلهم على حق، فأشركوا بربهم، وابتدعوا في دينهم، الذي يجتهدون في الباطل، ويحسبون أنهم على حق، ويجتهدون في الضلالة، ويحسبون أنهم على هدى، فـ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾». وورد هذا المعنى كذلك عن الضحاك، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فعن مصعب بن سعد، قال: «سألت أبي عن هذه الآية: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الكهف] أهم الحرورية؟» قال: «لا، هم أهل الكتاب، اليهود والنصارى. أما اليهود فكذبوا بمحمد، وأما النصارى فكفروا بالجنة، قالوا: ليس فيها طعام ولا شراب، ولكن الحرورية ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة البقرة]» فكان سعد يسميهم: الفاسقين »[3].

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (15/ 426- 427).

(2) جامع البيان (15/ 423).

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (15/ 425).

المعنى الثاني: أنهم الخوارج. وهذا المعنى وارد عن علي بن أبي طالب ﷺ في سؤال ابن الكواء له، فعن أبي الطفيل، قال: «سأل عبد الله بن الكواء عليًا ﷺ عن قوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾﴾ قال: «أنتم يا أهل حروراء». وعن نافع بن جبير بن مطعم، قال: «قال ابن الكواء لعلي بن أبي طالب ﷺ: ما الأخسرين أعمالًا ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾؟ قال: أنت وأصحابك» [1]. وإذا تأملت هذه الروايات المتعددة والواردة عن علي بن أبي طالب ﷺ وغيره من السلف، تبيَّنَ لك أنّ أقوالهم جاءت على جهة التمثيل لا التعيين، وأن كل ما ذكروه -مما هو داخلٌ في وصف الآية وعمومها- إنما هو لتأكيد تناول الآية له، فيحصل بذلك أن أقوالهم لا تفيد الحصر. قال بن حيان: « وينبغي حمل هذه الأقوال على التمثيل على الحصر؛ إذ الأخسرون أعمالًا هم كل من دان بدين غير الإسلام، أو راءى بعمله، أو أقام على بدعةٍ تؤول به إلى الكفر، والأخسر من أتعب نفسه؛ فأدى تعبه به إلى النار» [2]. وبهذا جزم صاحب أضواء البيان، فقال: « وما روي عن علي ﷺ من أنهم أهل حروراء المعروفون بالحروريين، معناه أنهم يكون فيهم من معنى الآية بقدر ما فعلوا؛ لأنهم يرتكبون أمورًا شنيعة من الضلال، ويعتقدون أنها هي معنى الكتاب والسنة، فقد ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ وإن كانوا في ذلك أقل من الكفار المجاهرين؛ لأن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب». [3]

وهذا هو الظاهر في ترجيح الطبري – بعده ذكره للأقوال-، حيث قال: «والصواب

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (15/ 426-427).

(2) البحر المحيط في التفسير (7/ 230).

(3) أضواء البيان (3/ 350).

من القول في ذلك عندنا، أن يقال: إن الله ﷻ عنى بقوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾﴾ كل عامل عملًا يحسبه فيه مصيبًا، وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرض، وهو بفعله ذلك لله مسخط، وعن طريق أهل الإيمان به جائر، كالرهابنة والشمامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم، وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفرة من أهل أي دين كانوا » [1]. وقال ابن حجر رحمه الله: « وليس الذي قاله علي رضي الله عنه ببعيد؛ لأن اللفظ يتناوله، وإن كان السبب مخصوصًا».[2] ولعل غرض علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان بقصد تحذير عبد الله بن الكواء من الميل إلى أهل البدع والأهواء، والرجوع إلى هذه الطائفة الضالة، وتخويفه من مغبة أمرهم، ونهيهُ عن الجدال، والسؤال فيما لا ينفع، «وهكذا كان العلماء والعقلاء إذا سئلوا عما لا ينفع السائل علمه، ولا يضره جهله. وربما كان الجواب أيضًا مما لا يضبطه السائل، ولا يبلغه فهمه منعوه الجواب، وربما زجروه وعنفوه».[3] وهو ما ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه،كما في رواية ابن وهب–التي زاد فيها– أنه لما سأله ابن الكواء عن قوله الله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾﴾، قال: « فرقي إليه درجتين فتناوله بعصى كانت بيده، فجعل يضربه بها، ثم قال علي رضي الله عنه: أنت وأصحابك».[4]

المسألة الخامسة: عن ذي القرنين.

أخرج الطبري بسنده عن أبي الطفيل، قال: سأل ابن الكواء عليًا رضي الله عنه عن ذي القرنين أنبيًا كان؟ فقال: «كان عبدًا صالحًا، أحب الله فأحبه، وناصح الله فنصحه، فبعثه الله إلى قومه، فضربوه ضربتين في رأسه، فسمي ذا القرنين. وفيكم اليوم مثله».

(1) جامع البيان (15/ 427).

(2) فتح الباري، لابن حجر (8/ 425).

(3) الإبانة الكبرى، لابن بطة (1/ 418).

(4) تفسير القرآن من الجامع، لابن وهب (1/ 96).

[1] وزاد في رواية يحيى بن سلام: «دعا قومه إلى الإيمان فلم يجيبوه، فضربوه على قرنه فقتلوه. فأحياه الله، ثم دعا قومه أيضًا، فضربوه على قرنه، فقتلوه، فأحياه الله، فسمي ذا القرنين».[2]

وكما هو ظاهر فإن المراد بالسؤال عن ذي القرنين السؤال عن خبره، وبالتحديد هل هو نبيٌ أم لا، ونجد أن عليًا ﷺ قد أجاب عن السؤال فذكر أن ذا القرنين كان عبدًا صالحًا، ولم يكن نبيًا أو رسولًا، وكان من صفاته النصح والمحبة لله ﷻ، وأنه ابتلي بقومه حين دعاهم للإيمان، فضربوه على قرنه، فقتلوه، ثم أحياه الله تعالى بفضله، ثم دعا قومه أيضًا فضربوه على قرنه، فقتلوه، فأحياه الله تعالى بفضله، فسمي ذا القرنين بسبب ذلك. وزاد في رواية ابن عبد البر: « ولم يكن له قرنان كقرني الثور».[3] ولما وصفه القرآن الكريم بذي القرنين؛ يتعين على هذا أن يكون ذو القرنين –على إثر هذا الوصف العربي– عربيًا. ولم يتجاوز القرآن الكريم ذكر هذا الرجل بأكثر من لقبه المشتهر به، فلم يعين اسمه وموطنه وقومه؛ لأن ذلك ليس من أغراض القرآن، بل تم الاقتصار على ما يفيد الأمة من العبرة في هذه القصة. وهذه القصة القرآنية تعطي صفات لا محيد عنها:

إحداها: أنه كان ملكًا صالحًا عادلًا. الثانية: أنه كان ملهمًا من الله.

الثالثة: أن ملكه شمل أقطارًا شاسعة، حتى بلغ في فتوحه من جهة المغرب مكانًا كان مجهولًا وهو عين حمئة، وبلغ بلاد يأجوج ومأجوج، وأقام سدًا يحول بينهم وبين قوم آخرين. [4]

(1) جامع البيان (15/ 370).

(2) تفسير يحيى بن سلام (1/ 207).

(3) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله(1/ 464).

(4) التحرير والتنوير (16/ 20).

وفي جواب علي ﷺ عن سؤال ابن الكواء ملحظٌ لطيف، حيث ختم جوابه بقوله – وهو يقصد نفسه–: «وفيكم اليوم مثله» أي: كما ابُتلي ذو القرنين بقومه حين دعاهم للإيمان، فقد ابتليتُ بذلك منكم؛ يشير إلى مَن آذاه وبغى عليه من الخوارج.

المسألة السادسة: عن البيت المعمور.

أخرج الطبري بسنده عن عاصم، عن علي بن ربيعة قال: سأل ابن الكواء عليًا ﷺ عن البيت المعمور، قال: « مسجد في السماء يقال له الضراح، يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة، لا يرجعون فيه أبدًا » وزاد في رواية أبي الطفيل قال: سأل ابن الكواء عليًا ﷺ عن البيت المعمور، قال: «بيت بحيال البيت العتيق في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك على رسم راياتهم، يقال له الضراح، يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة ثم لا يرجعون فيه أبدًا» [1]

وقد أقسم الله تعالى بالبيت المعمور في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤﴾ [سورة الطور]: أي البيت الذي يعمره من يتعبد فيه، وهو بيت في السماء السابعة، جهته وموضعه–فيما ذكر– بحيال الكعبة من الأرض، ويقال له الضراح، ووصف بالمعمور لكثرة ما يغشاه من ملائكة الله تعالى يتعبدون فيه، وحرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة، ثم لا يعودون فيه أبدًا، والخبر مذكور عن النبي ﷺ من حديثٍ طويل في الإسراء والمعراج، رواه البخاري عن مالك بن صعصعة، وفيه: «..فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بك من ابنٍ ونبيٍ، فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم». [2]

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (21/ 563).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (4/ 109)،(ح/3207).

وبنحو ذلك ورد عن السلف، قال ابن عباسﷺ :« والبيت المعمور هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة، ثم لا يعودون إليه» (1)

كثير من آيات القرآن الكريم تُنبئ عن مغيبات ماضية قد وقعت، وغيبيات ستقع مثل قيام الساعة وأحداثها، وموقف الناس في يوم الحساب والجنة والنار، وغير ذلك من الأمور.

ولا شك بأن الحديث عن البيت المعمور من الأمور الغيبية التي لا يجوز القول فيها إلا بدليلٍ من الكتاب أو السنة، فلا مجال للعقل فيها، وأن قول الصحابي في الأمور الغيبية التي لا مجال للاجتهاد فيها له حكم الرفع. ويلاحظ أن من منهج الصحابة هنا عدم خوضهم فيما استأثر الله بعلمه من تفسير كتابه في الأمور الغيبية إلا بالقدر الذي بينه الخبر الصحيح عن الرسول ﷺ، ولذا يجب على المسلم الإيمان والتسليم والوقوف على ما ورد في النصوص الشرعية من الغيبيات، وعدم الخوض والجدل فيما أخبر به الشارع، وألا يزيد في بيانها على غير ما وردت به النصوص الشرعية.

المسألة السابعة: حُكم وَطءَ النساء في أعْجازهنّ.

ساق ابن أبي حاتم بإسناده عن أبي المعتمر، أو عن أبي الجويرية –شكّ الصلت بن بهرام – قال: قال علي ﷺ على المنبر: «سلوا، فقال ابن الكواء: تؤتى النساء في أعجازهن؟ فقال علي ﷺ: سَفَلْتَ، سَفَّلَ اللَّهُ بِكَ!، ألم تسمع إلى قوله:﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأعراف]». (2)

وسؤال ابن الكواء كان عن وطء المرأة في دبرها، ونجد أن عليًاﷺ أجابه، وأغلظ له القول له في الكلام ودعا عليه. وقد ورد تحريم وطء المرأة في دبرها في الآية الكريمة:

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (21/ 564).

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (5/ 1517)، (9/ 2904).

﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:223] يريد على أي حال من إقبال أو إدبار شئتم، شرط أن يكون ذلك في القبل لا في الدبر. وللأحاديث الصحاح وما أكثرها ومنها قوله ﷺ:« أيها الناس إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن»[1]، وقوله ﷺ:«من أتى امرأة في دبرها لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[2]. وهذا القول هو الثابت عن علي ﷺ وعن جميع السلف والأئمة الأربعة، قال ابن كثير: «وهذا هو الثابت عنه، وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم قاطبة، وهو قول سعيد ابن المسيب وأبي سلمة وعكرمة وطاووس وعطاء وسعيد بن جبير وعروة بن الزبير ومجاهد والحسن، وغيرهم من السلف؛ أنهم أنكروا ذلك أشد الإنكار، ومنهم من يطلق على فعله الكفر، وهو مذهب جمهور العلماء». [3] وقد كان السلف يستقبحون هذا الفعل ويستنكرونه، وقد روي عن ابن عمر ﷺ تكفير من فعله، ولهذا غلظ علي ﷺ على ابن الكواء في سؤاله عن ذلك، ودعا عليه بالسفل [4] فقال: «سَفَلْتَ، سَفَّلَ اللَّهُ بِكَ!،ألم تسمع إلى قوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾». [5]

واستدل علي ﷺ بقوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ وهذه الآية كما هو معلوم في قوم لوط عليه السلام، ولعله ﷺ سلكَ به سبيل القياس، لأن كلا الفعلين يُعد من الفواحش،

(1) أخرجه أحمد في مسنده (2/ 82)، (ح/655)، وابن حبان في صحيحه (9/ 514)،(ح/4200). قال الأرنؤوط:« حديث حسن في المتابعات».

(2) أخرجه أحمد في مسنده (16/ 157) ولفظه:« ملعون من أتى امرأة في دبرها»، قال الأرنؤوط: «حديث حسن»، وأخرجه أبو داود في سننه (6/ 48)،(ح/3904) قال الأرنؤوط: «حديث صحيح».

(3) تفسير ابن كثير (1/ 450).

(4) (السَفل) بالكسر والضم فيهما، وهو خلاف العلو، والسفالة: الخساسة، ومنه السفلة لخساس الناس وأراذلهم وجهالهم. المغرب في ترتيب المعرب، للمُطَرِّزِيّ (ص: 227).

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (5/ 1517)، (9/ 2904).

ويحمل هذا على تأكيد التشنيع بقبح هذا الفعل؛ ولأن « أصل الفحش: القبح والخروج عن الحد والمقدار في كل شيء» [1] وكذلك قوله فيه إشارة إلى ما ورد من أن بدء فعل قوم لوط عليه السلام ذاك كان أول ما صنعه الرجال بالنساء، ثم صنعه الرجال بالرجال. [2]

المسألة الثامنة: السؤال عن المجرة.

أخرج البخاري في الأدب المفرد، وابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل عليًا رضي الله عنه، عن المجرة فقال: «هي شرج [3] السماء، ومنها فتحت أبواب السماء بماء منهمر، ثم قرأ: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ [سورة القمر]». [4]

والمجرة: هي البياض المعترض في السماء، وهي كهيئة القبة، وتسمى شرج السماء، وباب السماء ودرب التبان؛ وهي طائفة من نجوم هذا الفضاء الفسيح ترى كأنها مجتمعة، ولا يميز بعضها عن بعض، ولذلك يقال لها: أم النجوم؛ لأنها مجتمع ملايين النجوم، وهي من آيات الله سبحانه وتعالى ومخلوقاته العظيمة. [5] وظاهر استشهاد علي رضي الله عنه بقوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ [سورة القمر] أن فتح أبواب السماء بماء كثير، ومنصب انصبابًا شديدًا- ولم ينقطع أربعين يومًا-كان من موضع هذه المجرة

(1) جامع البيان (6/ 61).

(2) الدر المنثور (3/ 495).

(3) (شرج) الشين والراء والجيم أصل منقاس يدل على اختلاط ومداخلة. من ذلك الشرج وهي العرى- ما يجعل فيه الثياب- وسميت بذلك لأنها تتداخل. ويقال كذلك: شرجت اللبن، إذا نضدته. وشرجت الشراب، إذا مزجته، وتشرج اللحم باللحم، إذا تداخلا. وشرج الوادي: منفسحه، والجمع أشراج، والشريجة: القوس يكون عودها لونين. هذا هو الأصل. قولهم: أصبح الناس في هذا الأمر شرجين، فيظن أنهم أصبحوا فرقين، وهو يرجع إلى المعنى الذي ذكرناه؛ لأنهم إذا اختلفوا اختلط الرأي والكلام وصارت مراجعات. مقاييس اللغة (3/ 268).

(4) أخرجه البخاري في الأدب المفرد(ص: 409)، (ح/ 176)، وابن أبي حاتم في تفسيره (10/ 3320).

(5) التفسير البسيط، للواحدي (3/ 319)، معجم متن اللغة، لأحمد رضا (1/ 507).

والتي هي شـــرج الســـماء. وورد عن ابن عباس قوله: «﴿ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾﴾ كثير، لم تمطر الســـماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من الســـحاب، وفتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم»[1]، وهو مقتضى قول علي ﷺ من أن الماء نزل من الســماء مباشــرة. قال الرازي: «﴿ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾﴾ مقرونة بماء منهمر، والانهمار: الانسكاب والانصباب صبًا شديدًا، والتحقيق فيه أن المطر في العادة يخرج من السـماء–التي هي السـحاب– خروج مترشـح من ظرفه، وفي ذلك اليوم كان يخرج خروج مرسل خارج من باب».[2]

ومما يلاحظ في الأثر أن ابن الكواء لم يســأل علي ﷺ عن معنى هذه الآية، وإنما ســأل عن ماهية المجرة، إلا أن عليًا ﷺ عرج على تفســير الآية في معرض جوابه على الســؤال؛ ولعله أراد أن ينبه الســائل لما هو فوق ســؤاله هذا، ويربط بين حقيقة هذه المخلوقات العظيمة، وبين ذلك الحدث المهيب الذي ارتبط بفتح السماء، والوارد ذكره في هذه الآية، وهذا مما يظهر عظم قدرته ﷻ؛ إذ لا يؤُدُهُ حفظ هذه المخلوقات العظيمة أو التصرف فيها وتغيير أحوالها؛ فهو القاهر فوق عباده، وهو العلي العظيم.

المســألة التاســعة: الجمع بين الأختين المملوكتين في النكاح، وعن ابنة الأخ من الرضاعة.

وردت هذه المســألة في الأثر الوارد عن أبي صــالح الحنفي، قال:« قال علي ﷺ للناس ســلوني: فقال ابن الكواء: حدثنا عن الأختين المملوكتين، وعن ابنة الأخ من الرضــاعة، فقال: ذاهب أنت في التيه! فقال: إنما نســألك عما لا نعلم، فأما ما نعلم فما نسألك عنه، قال: أما الأختان المملوكتان فإنهما حرمتهما آية، وأحلتهما آية، فلا

(1) تفسير ابن كثير (7/ 441).

(2) مفاتيح الغيب (29/ 296).

أحله ولا أحرمه، ولا آمر به، ولا أنهى عنه، ولا أفعله أنا ولا أحد من أهل بيتي، وأما ابنة الأخ من الرضاعة، فإني ذكرت ابنة حمزة لرسول الله ﷺ، فقال: «إنها ابنة أخي من الرضاعة»، وهذا الحديث في قصة ابنة حمزةرضي الله عنه، وقد روي عن عليرضي الله عنه من وجوه». (1)

وهذه الرواية فيها مسألتان: الأولى: حكم الجمع بين الأختين المملوكتين في الوطء. وتلخيص الكلام في هذه المسألة: أن الجمع بين الأختين المملوكتين لا يجوز وطئًا؛ لإطلاق قولهﷻ: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾[النساء: 23] وتقتضي الآية تحريم الجمع بين الأختين سواء كانتا شقيقتين أو لأب أو لأم، وذلك في الزوجتين، وألحق به العلماء تحريم الجمع بين الأختين المملوكتين، ورأوا أنه داخل في عموم لفظ الأختين، والعلة أن المعنى الذي يحرم الجمع بين الأختين نكاحًا وجد هنا وهو قطيعة الرحم فيثبت بذلك الحكم. قال الخطابي في المعالم: «يشبه أن يكون المعنى في ذلك- والله أعلم- ما يخاف من وقوع العداوة بينهن؛ لأن المشاركة في الحظ من الزوج توقع المنافسة بينهن، فيكون منها قطيعة الرحم، وعلى هذا المعنى يحرم الجمع بين الأختين المملوكتين في الوطء، وهو قول أكثر أهل العلم، وقياسه أن لا يجمع بين الأمة وبين عمتها أو خالتها في الوطء». (2) وقال العيني: «وهذا لا يعارض بقوله تعالى: ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾[النساء: 3]؛ لأن الترجيح للمحرم، كما في قوله: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾[النساء: 23] وكذا لا يجوز الجمع بينهما في الدواعي لإطلاق النصّ؛ ولأن الدواعي إلى الوطء بمنزلة الوطء في التحريم. وأما الجمع بين الأختين في

(1) أخرجه البزار في مسنده (304/2)، (ح/730)، وابن أبي شيبة في مصنفه (482/3)، (ح/16253)، والبيهقي في السنن الكبرى (14/ 267)، (ح/ 734)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (1/ 468).
(2) عون المعبود، لمحمد آبادي (50/6).

الملك دون وطء فجائز باتفاق». [1] وقول علي ﷺ:« فإنهما حرمتهما آية، وأحلتهما آية» نقله بعض أهل العلم على أنه من كلام عثمان ﷺ، قال الجصاص: «روي عن عثمان ﷺ الإباحة، وروي عنه أنه ذكر التحريم والتحليل، وقال: لا آمر ولا أنهى عنه. وهذا القول منه يدل على أنه كان ناظرًا فيه غير قاطع بالتحليل والتحريم فيه، فجائزٌ أن يكون قال فيه بالإباحة ثم وقف فيه، وقطع علي ﷺ فيه بالتحريم، وهذا يدل على أنه كان من مذهبه أن الحظر والإباحة إذا اجتمعا، فالحظر أولى إذا تساوى سببهما» وقال كذلك: «وهذا يحتمل أن يريد به نفي المساواة في مقتضى الآيتين، وإبطال مذهب من يقول بالوقف فيه، على ما روي عن عثمان ﷺ؛ لأنه قال في رواية الشعبي: أحلتهما آية، وحرمتهما آية. والتحريم أولى، وإنكاره أن يكون أحلتهما آية، وحرمتهما آية إنما هو على جهة أن آيتي التحليل والتحريم غير متساويتين في مقتضاهما، وأن التحريم أولى من التحليل. ومن جهة أخرى أن إطلاق القول بأنه أحلتهما آية وحرمتهما آية من غير تقييد هو قولٌ منكر؛ لاقتضاء حقيقته أن يكون شيء واحد مباحًا ومحظورًا في حال واحدة، فجائز أن يكون علي ﷺ أنكر إطلاق القول بأنه أحلتهما آية وحرمتهما آية من هذا الوجه. وأما إذا كان مقيدًا بالقطع ،...، فإنه يدل على أن حكم الآيتين إذا وردتا في سببين، إحداهما في التحليل، والأخرى في التحريم؛ أن كل واحدة منهما تجري على حكمها في ذلك السبب، ولا يعترض بها على الأخرى». [2]

وخلاصة ما سبق أن حكم الجمع بين الأختين المملوكتين في الوطء محرم، وهذا هو المروي عن أكثر الصحابة، إلا ما روي عن بعضهم في ذلك، وليس عليه أحد من أئمة الفتوى ولا من تبعهم. ولذلك منعه مالك والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم. قال

(1) البناية شرح الهداية، للعيني (187/12)، التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (1/ 186).
(2) ينظر: أحكام القرآن، للجصاص (3/ 75).

ابن عبد البر- بعد أن ذكر ما روي عن عثمان بن عفان ﷺ من جواز الجمع بين الأختين في الوطء بالملك-: « وقد روي مثل قول عثمان ﷺ عن طائفة من السلف منهم ابن عباس ﷺ؛ ولكنهم اختلف عليهم، ولم يلتفت أحد إلى ذلك من فقهاء الأمصار بالحجاز ولا بالعراق، ولا ما وراءها من المشرق ولا بالشام ولا المغرب إلا من شذّ عن جماعتهم باتباع الظاهر ونفي القياس، وقد ترك من تعمد ذلك. وجماعة الفقهاء متفقون على أنه لا يحل الجمع بين الأختين بملك اليمين في الوطء كما لا يحل ذلك في النكاح، وقد أجمع المسلمون على أن معنى قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ [النساء:23] إلى آخر الآية أن النكاح بملك اليمين في هؤلاء كلهنّ سواء، فكذلك يجب أن يكون قياسًا ونظر الجمع بين الأختين وأمهات النساء والربائب، وكذلك هو عند جمهورهم وهي الحجة المحجوج بها من خالفها وشذ عنها».[1] وقد استشكل وقوع هذه الروايات عن الصحابة بحكم غزارة علمهم وفقههم، وقيل إن الإشكال وقع من جهة الراوي وليس الصحابي، قال القصاب: «وقوله: ﴿ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء: 23] نصَّ على تحريم الجمع بينهما بنكاح كان أو بملك اليمين. ولا أعرف للالتباس الواقع في أمرهما إذا كانتا مملوكين - من أجل أن الله قال في موضع: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء: 3] وجهًا، إذ لو جاز أن يقع فيها التباس جاز أن يقع، في الأخت من النسب والرضاع والعمة والخالة، ونساء الآباء، وحلائل الأبناء إذا ملكن، إذ لا خلاف بين الناس أن نساء الآباء وحلائل الأبناء قد يملكن بعد وقوع هذا الاسم عليهن، ونحن وكثير من العلماء نجيز ملك الأخت-من نسب ورضاع-والعمة والخالة، وقد شملتهن الآية بالتحريم، فما بال الالتباس يقع في الأختين المملوكتين من بينهن، والآية المحرمة للجمع

(1) الاستذكار، لابن عبد البر (64/1).

بينهن، والمحرمة من ذكر معهما واحدة، وهل قوله:﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[النساء: 3] في أول سورة النساء إلا مبيحة لجمع أكثر من أربع إماء للوطء، وفي سورة "سأل سائل " إلا مبينة وجه الوطء المحلل الذي لا يخرج من حفظ الفروج، وليس في هذا من الإشكال ما يحتاج إلى هذا الشرح كله، ولا أحسب الرواية عمن قال:« أحلتهما آية، وحرمتهما آية» إلا وهما من الراوي، إذ المحكي عنه هذا أجلّ من أن يشتبه عليه ما ليس بمشتبه». (1)

أما الجواب على المسألة الثانية فأشار فيه علي ﷺ إلى الأثر الوارد عند البخاري- وغيره- في قصة ابنة حمزة، فعن البراء ﷺ قال: « .. قال علي ﷺ: ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال ﷺ: «إنها ابنة أخي من الرضاعة»(2) فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب الرضاعة، كما نصّ على ذلك قوله تعالى:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾[النساء:23]فبيّن الله ﷻ في هذه الآية المحرمات من النساء بسبب الوصلة إما بسببٍ أو نسبٍ، ونبه بذلك أنه تعالى أجرى الرضاع مجرى النسب، وإنما نصّ الله على ذكر الأم والأخت ليدل بذلك على جميع الأصول والفروع. (3)

المسألة العاشرة: عن القَوْس الذي يظهر في السماء.

وردت هذه المسألة في الأثر الوارد عن أبي الطفيل، قال: «شهدت عليًا ﷺ وهو يخطب ويقول: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، وسلوني عن كتاب الله؛ فوالله ما منه آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار، أم بسهل نزلت أم بجبل، فقام ابن الكواء وأنا بينه وبين علي ﷺ فقال: قال: أفرأيت هذا

(1) النكت الدالة على البيان، للقصاب (1/ 249).

(2) رواه البخاري (5/ 141)، (ح/4251)، ومسلم (2/ 1071)، (ح/1446).

(3) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (1/ 358).

القوس ما هو؟ قال: هي علامة بين نوح وبين ربه، وأمان من الغرق».[1]

والمقصود بقوس قزح: تلك الظاهرة الضوئية التي تصحب سقوط الأمطار مع سطوع الشمس، قال الأزهري: «غب المطر بحمرة وصفرة وخضرة» [2]. وهي علامةٌ معروفة للإنسان إذا وقف ناظرًا إلى السماء بعد سقوط الأمطار، وتحدث ظاهرة قوس قزح كذلك فوق الشلالات المائية نهارًا مع بزوغ الشمس، حيث يظهر قوس قزح في رذاذ الماء المتصاعد من اندفاع الماء على حافة الشلال.[3]

وجواب علي ﷺ -لما سأله ابن الكواء عن قوس قزح-: «أنه علامة بين نوح وبين ربه وأمان من الغرق»، يعني أنَّ هذه الظاهرة كانت تعني العلامة والأمان لنوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين. وفيه إشارة إلى ما ذُكر في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود:40]، والأمر هاهنا يحتمل أن يكون معناه: أمرنا للماء بالفوران، أو للسحاب بالإرسال، أو للملائكة بالتصرف في ذلك، ونحو هذا مما يقدر في النازلة. وفارَ معناه انبعث بقوة. [4] واختلف الناس في التَّنُّورُ، فجاء عن علي ﷺ: «فار التنور: أي: طلع الفجر». ومعناه أن فوران التنور كان عند تنوير الفجر.[5] وقال قتادة:« التنور أعلى الأرض وأشرفها، وكان ذلك علامة له»، وقال الشعبي: « جاء الماء من ناحية الكوفة». وقالت فرقة- وهي الأكثر- منهم ابن عباس ومجاهد وغيرهما: «هو تنور الخبز الذي يوقد فيه». وهذا هو قول أكثر المفسرين؛ لأنه حمل الكلام على حقيقته. فلفظ التنور حقيقته: هو الموضع الذي يخبز فيه. وإذا نظرنا إلى هذه الأقوال

(1) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (3/ 234)، (ح/2970) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (1/ 464)، (ح/726).

(2) تهذيب اللغة، للأزهري (4/ 19).

(3) القرآن وعلوم الأرض، لمحمد سميح (ص: 46).

(4) المحرر الوجيز، لابن عطية (3/ 170).

(5) حاشية الطيبي على الكشاف (10/ 573).

نجد أن بعضها أشار إلى مكان وقوع الحدث، كقول الشعبي: «من ناحية الكوفة». وكقول قتادة: «أعلى الأرض وأشرفها»، وقول ابن عباس ومجاهد وغيرهما: «هو تنور الخبز»، وبعضها إلى أشار زمنه: كقول علي رضي الله عنه: «عند طلوع الفجر»؛ ولذلك لا خلاف حقيقي بينها؛ لأنها من قبيل التفسير بجزء من المعنى، وكلًا منها عبّر عن الحدث بصورة معينة، ولذا لا مانع من الجمع بينها؛ فقد يكون التنور في أعلى الأرض، ومن ناحية الكوفة، وقد يكون فورانه عند الفجر كما قال علي رضي الله عنه. وقد أشار النحاس إلى عدم مناقضة هذه الأقوال لبعضها، فقال: «وهذه الأقوال ليست بمتناقضة؛ لأن الله قد خبرنا أن الماء قد جاء من السماء والأرض، فقال: ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا. فهذه الأقوال تجتمع في أن ذلك كان علامة».[1]

أمّا مَن قال من المفسرين أن لفظ التنور هو الموضع الذي يخبز فيه؛ فهذا من باب حمل الكلام على حقيقته، وتفسيرٌ بحسب أصل اللفظ، ولذلك قُدم هذا القول على غيره من المعاني، والتي في مجملها لا تخالف هذا الأصل ولا تخرج عنه، قال الواحدي: «وقد ورد في معنى التنور أقوال، والقول الذي ذهب إليه أكثر المفسرين هو أن المقصود بالتنور: تنور الخبز؛ لأن الحمل على الظاهر الذي هو حقيقة أولى من العمل على المجاز، والتمثيل».[2]

أما ما ورد عن علي رضي الله عنه عن القوس: «أنه علامة بين نوح وبين ربه، وأمان من الغرق»؛ فهذا باعتبار أن ظهور القوس أثرٌ لازم بعد انتهاء أمر الطوفان، وإقلاع السماء عن إمطارها، وابتلاع الأرض لمائها، وهذا -بلا شك- إيذانٌ وأمارة بانتهاء العذاب، ونجاة نوح ومن معه من الغرق. ويلاحظ في جواب علي رضي الله عنه ربط هذه

(1) معاني القرآن، للنحاس (3/ 348).

(2) التفسير البسيط (11/ 414).

الظاهرة الكونية بالحدث العظيم الذي وقع في عهد نبي الله نوح عليه السلام كما في جوابه السابق عن ماهية المجرة، حيث ربط بين حقيقة هذه المخلوقات العظيمة، وبين ذلك الحدث المهيب الذي ارتبط بفتح السماء والوارد ذكره في قصة نبي الله نوح عليه السلام مع قومه؛ والقصد من ذلك التنبيه والاستدلال على عظيم قدرة الله ﷻ وسلطانه، وأنه لا يعجزه شيء أراده في ملكه.

المسألة الحادية عشرة: معنى أول آيات سورة الذاريات.

وردت هذه المسألة في الأثر الوارد عن أبي الطفيل، قال شهدت عليًا رضي الله عنه وهو يخطب ويقول: «سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيءٍ يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار، وفي سهل أم في جبل»، فقام إليه ابن الكواء، -وأنا بينه وبين علي وهو خلفي- فقال: ما ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤﴾ [الذاريات]؟ فقال له علي رضي الله عنه :« ويلك سل تفقهًا ولا تسأل تعنتًا، ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ الرياح، ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢﴾ السحاب، ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣﴾ السفن، ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤﴾ هم الملائكة».[1] وجاء في رواية الطبري عن أبي الصهباء البكري، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو على المنبر: «لا يسألني أحد عن آية من كتاب الله إلا أخبرته»، فقام ابن الكواء، وأراد أن يسأله عما سأل عنه صَبيغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: ما ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾؟ قال علي رضي الله عنه: «الرياح» وأخرجه الطبري بعدة أسانيد أخرى.[2] وفي لفظ ابن وهب عن محمد بن كعب القرظي: «... فقام

(1) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (3/ 234)، (ح/2970) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (1/ 464)، (ح/726).

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (21/ 480-483). قال ابن حجر: وهذا التفسير مشهود عن علي.

ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين، ما﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾، فقال علي: ويلك!، والله ما العلم تريد، هي- ويلك!- الرياح؛ قال: يا أمير المؤمنين، ما﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢﴾، قال: هي- ويلك!- السحاب؛ قال: يا أمير المؤمنين، فما﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣﴾، قال: هي- ويلك!-: السفن؛ قال: يا أمير المؤمنين، فما﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤﴾، قال: هي- ويلك!- الملائكة..». (1)

بدأت سورة الذاريات بأربعة أقسام من الله ﷻ على مخلوقات عظيمة من خلقه. «والمراد من القَسم المفتتح به في الآيات: تحقيق المقسم عليه، وتأكيد وقوعه، وفي إقسام الله بعظيم من مخلوقاته هو في المعنى قسم بقدرته وحكمته، ومتضمن تشريف تلك المخلوقات بما في أحوالها من نعم، ودلالة على الهدى والصلاح، وتذكير بنعمة الله فيما أوجد فيها». (2) فأقسم الله تعالى بهذه الأشياء، لما فيها من الدلالة على صنيعه وقدرته؛ فبدأ بالقسم بالرياح في قوله ﷻ: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ يعني: الرياح التي تذرو التراب، وهشيم النبات، ومعنى تذروه أي: تفرقه. ثم أتبع القسم بالسحاب، فقال:﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢﴾ يعني: السحاب يحمل ثقلًا من الماء، ثم قال:﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣﴾ يعني: السفن تجري ميسرة في الماء، جريًا سهلًا.﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤﴾ يعني: الملائكة، يقسمون الأمر بين الخلق على ما أمروا به، ثم ذكر المقسم عليه، فقال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥﴾ أي: من الثواب والعقاب ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ٦﴾ أي الجزاء كائن. (3)

وفي رواية الطبري: «فقام ابن الكواء، وأراد أن يسأله عما سأل عنه صَبيغ عمر

(1) تفسير القرآن من الجامع، لابن وهب (2/ 113)، (ح/222).
(2) التحرير والتنوير (26/ 336).
(3) ينظر: التفسير الوسيط، للواحدي (4/ 173).

ابن الخطاب ﷺ، فقال: ما﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾؟» وهي إشارة إلى ما قد روي من أن صَبيغ بن عسيل سأل عمر بن الخطاب ﷺ عن: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾، فضربه عمر على رأسه؛ لأنه رأى أن غرض السائل التعنت وابتغاء الفتنة، لا الاسترشاد والاستفهام. وهذه الروايات توضح لنا التوافق العجيب ما بين عقلية صَبيغ المشككة وعقلية ابن الكواء. وتظهر لنا كذلك هذه الروايات شدة التوافق ما بين منهج عمر وعلي- رضي الله عنهما- في كراهة الجدال والتعنت في السؤال، وأشار إلى هذا التوافق الإمام الآجري في كتاب الشريعة بعدما أورد الرواية عن بكير الأشج قوله: إن عمر ابن الخطاب ﷺ قال: « إن ناسًا يجادلونكم بشبه القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى»، ثم قال محمد الآجري رحمه الله: « وهكذا كان من بعد عمر ﷺ -علي بن أبي طالب ﷺ- إذا سأله إنسانٌ عما لا يعنيه؛ عنفه ورده إلى ما هو أولى به». (1)

الخاتمة.

أحمد الله على إتمام هذا البحث، وسأستعرض أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلاله:

أولًا: النتائج:

- المراد بالسؤالات التفسيرية: الأسئلة التي يطرحها المتعلم على العالم بقصد الوصول لفهم معنى كلام الله تعالى.
- كان من منهج الصحابة ﷺ سماع سؤالات أهل البدع ومناظرتهم والرد عليهم، وبيان ما أخطأوا فيه.
- من خلال تتبع المرويات التفسيرية التي زخرت بها كتب التفسير نستطيع

(1) الشريعة (1/ 485)، (ح/154).

القول أن السؤالات التفسيرية نشأت منذ العهد الأول للإسلام.

- كان الصحابة ﷺ يسألون النبي ﷺ عما يشتبه عليهم فهمه ويشكل عليهم من معاني الآيات القرآنية، ثم جاء التابعون وتلقوا غالب تفسيرهم عن الصحابة ﷺوكانوا يسألونهم عن أمور العلم والفقه.
- وردت الآثار في الكتب المسندة عن سؤالات الخوارج التفسيرية للصحابة، ومن أشهر ما ورد في ذلك: سؤالات صَبِيغ لعمر بن الخطاب ﷺ، وسؤالات نافع بن الأزرق- زعيم الخوارج الأزارقة- لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وسؤالات ابن الكواء سأل علي بن أبي طالب ﷺ، وهي منقولة في كتب التفسير المسندة، وفي غيرها.
- اختلاف تعامل الصحابة مع سؤالات أهل البدع كان على حسب نوع السؤال، وحال السائل.
- إذا كان السائل ممن أُشرِب قلبُه حب البدعة، مع الدعوة لها والذب عنها، فهذا -إن عدم انتفاعه بالنُّصح- يتبرَّأ منه السلف، ويحذروا الناس منه.
- إن كان السائل ممن اعتقد بدعةً بسبب شبهةٍ عارضة غير مستحكمة، فأدَّت به إلى طريق الابتداع؛ لكنه ممن يرجى له النجاة، والرجوع عن البدع، والتزام السنة؛ ففي هذه الحالة فإنَّ الصحابة كانوا يُناظِرون من كان هذا حاله، ويُبيِّنون له خطأه؛ ليَعُود عن بدعته ويلزَم السنَّة.
- وردت الآثار في الكتب المسندة أن علي بن أبي طالب ﷺ فسّر الآيات وهو على المنبر، وأذن للناس أن يسألوه، ولذلك فإن غالب المرويات التي نقلت سؤالات ابن الكواء ورد أنها في سياق تفسير علي بن أبي طالب ﷺ للآيات وهو على المنبر.
- دلت الآثار على كراهة السلف للسؤال عما لا حاجة إليه، والتحذير من

تتبع المتشابهات، والنهي عن التكلف والتعمق، والاعتراض والجدال في الدين.

- المقصد من التسبيح فهو تنزيه الله عن النقص والعيب، وتعظيمه، وذلك يتضمن كمال صفاته.
- قد يقع في تفسير السلف ذكر المعنى المراد اللازم من المعنى الأولي في الآية؛ حسب ما تقتضيه المصلحة، والحاجة إلى التفسير.
- امتاز أسلوب علي بن أبي طالب ﷺ بالتغليظ والزجر لابن الكواء؛ لأنه تبين له أن مقصده لا محصّل له إلّا حب المماحكة والجدل والعبث، وليس طلب الاسترشاد والوصول إلى الهدى.
- لا يجوز القول في الأمور الغيبية إلا بدليلٍ من الكتاب أو السنة، فلا مجال للعقل فيها، وقول الصحابي في الأمور الغيبية التي لا مجال للاجتهاد فيها له حكم الرفع.
- يجب على المسلم الإيمان والتسليم والوقوف على ما ورد في النصوص الشرعية من الغيبيات، وعدم الخوض والجدل فيما أخبر به الشارع، وألا يزيد في بيانها على غير ما وردت به النصوص الشرعية.

ثانيًا: التوصيات:

من التوصيات التي يوصى بها في هذا البحث:

- جمع ودراسة المرويات المتعلقة بتعامل السلف مع أهل البدع، والاستفادة منها في مجال التعليم والدعوة.
- دراسة أجوبة الصحابة والتابعين على سؤالات أهل البدع، وأثر هذه الأجوبة في رجوع كثير منهم عن البدع والجهالات.

فهرس المصادر والمراجع.

1. ابن جزي الكلبي، أبو القاسم، محمد بن أحمد، "التسهيل لعلوم التنزيل"، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم-بيروت، ط1- 1416هـ.

2. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، علق عليه: مشهور آل سلمان، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ.

3. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، "مفتاح دار السعادة "، تحقيق: عبد الرحمن بن قائد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1432هـ.

4. أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، "الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار"، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ.

5. أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير" تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري"، دار التراث-بيروت، ط2، 1387هـ.

6. أبو جعفر النحاس، أحمد بن محمد، "معاني القرآن"، جامعة أم القرى-مكة المكرمة، ط1، 1409هـ.

7. أبو عبد الرحمن، عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ "السنة"، تحقيق: محمد القحطاني، دار ابن القيم-الدمام، ط1، 1406هـ.

8. أبو عمر، يوسف بن عبد البر القرطبي، "جامع بيان العلم وفضله"، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ.

9. الآجُرِّيُّ، أبو بكر محمد "الشريعة" تحقيق:عبد الله الدميجي، دار الوطن-الرياض، السعودية، ط:2، 1420هـ.

10. أحمد رضا، "معجم متن اللغة"، دار مكتبة الحياة، بيروت.

11. الألوسي، شهاب الدين محمود "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع

المثاني" تحقيق: علي عطية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
12. الأندلسي، عبد الحق ابن عطية." المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق: عبد السلام محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1422هـ.
13. الأندلسي، محمد بن يوسف بن حيان. "البحر المحيط في التفسير". تحقيق: صدقي جميل. دار الفكر، بيروت،1420هـ.
14. البخاري، محمد بن إسماعيل "الأدب المفرد"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية-بيروت، ط 3، 1409هـ.
15. بدر الدين العيني، أبو محمد محمود بن أحمد، "البناية شرح الهداية"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ.
16. البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، "مسند البزار "، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط: 1، 1988م.
17. البصري، يحيى بن سلام، "تفسير يحيى بن سلام"، تحقيق: هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط:1، 1425هـ.
18. البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، "تفسير مقاتل بن سليمان"، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث-بيروت، ط1، 1423هـ.
19. بن عاشور، محمد بن الطاهر." التحرير والتنوير"، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
20. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحُسين "السنن الكبير"، تحقيق: عبد الله التركي، مركز هجر، ط:1، 1432هـ.
21. الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الحنفي، "أحكام القرآن"، تحقيق: محمد القمحاوي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
22. الخازن، علاء الدين علي بن محمد،" لباب التأويل في معاني التنزيل"،

تصحيح: محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
23. الرازي، أحمد بن فارس." مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام هارون، ط: بدون، دار الفكر للطباعة.
24. الرازي، عبد الرحمن ابن أبي حاتم. "تفسير القرآن العظيم". تحقيق: أسعد الطيب، ط3، مكتبة نزار الباز، 1419هـ.
25. الشنقيطي، محمد الأمين المختار الجكني." أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن". دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ.
26. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم "جامع المسائل"، تحقيق: محمد شمس، إشراف: بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة، ط:1، 1422هـ.
27. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام "المصنف"، تحقيق: الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، ط2.
28. الطبري، محمد بن جرير." جامع البيان عن تأويل آي القرآن" تحقيق: عبد الله التركي، ط1، دار عالم الكتب، الرياض.
29. الطيبي، الحسين بن عبد الله "حاشية الطيبي على الكشاف"، ط1، 1434هـ.
30. العسقلاني، أحمد بن حجر، "الإصابة في تمييز الصحابة"، ط1، 1415هـ.
31. العسقلاني، أحمد بن حجر، "تقريب التهذيب"، الرشيد –سوريا، ط:1، 1406هـ.
32. العظيم آبادي، محمد أشرف، "عون المعبود شرح سنن أبي داود"، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:2، 1415هـ
33. العُكبري، أبو عبد الله عبيد الله، المعروف بابن بَطَّة، "الإبانة الكبرى"، تحقيق: رضا معطي، وآخرون، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

34. الفراهيدي، الخليل بن أحمد "كتاب العين"، تحقق: المخزومي، دار الهلال.
35. القاسمي، محمد جمال الدين." محاسن التأويل"، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، بيروت، 1418هـ.
36. القرشي، عبد الله بن وهب "تفسير القرآن "، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003 م.
37. القرطبي، يوسف بن عبد البر." الاستذكار". دار الكتب العلمية، بيروت،1421هـ.
38. القرطبي، محمد بن أحمد." الجامع لأحكام القرآن". ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة.
39. القصَّاب، أحمد محمد." النكت الدالة على البيان". ط1، دار القيم.
40. الكفوي، أيوب بن موسى." الكليات"، مؤسسة الرسالة، بيروت.
41. محمد سميح، "القرآن وعلوم الأرض"، الزهراء للإعلام العربي، ط:1، 1414هـ.
42. المطرّزيّ، ناصر الخوارزمي "المغرب"، دار الكتاب العربي.
43. معمر بن أبي عمرو راشد "الجامع"، تحقق: الأعظمي، باكستان، ط:2، 1403هـ.
44. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، "الجامع الصحيح"، الناشر: دار الجيل، بيروت.
45. الهروي الأزهري. "تهذيب اللغة". ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
46. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، "الوسيط في تفسير القرآن المجيد"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 1415هـ.
47. الواحدي، علي بن أحمد. التّفسير البسِيط" تحقيق: أصل تحقيقه في (15)

رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ط1، 1430 هـ.